مداخلة بعنوان:

محمد أركون ومحاولة التفكيك وإعادة الترتيب لفكرنا العربي والإسلامي

الأستاذ:شياخ باية
"جامعة أدرار"

ملخص: تعتبر الدعوة إلى سوسيولوجيا غير سوسيولوجيا غربية، بمثابة استعمال الإشارة إلى "أنا"وإشارة "لآخر" ،ليس من منطلق الاختلاف المجتمعي فقط، وإنما ما دمنا نتحدث عن سوسيولوجيا غير غربية هنا الحديث سيكون عن مصطلح علمي، أو علم قائم بذاته ذو صبغة اجتماعية وثقافية غير التي ألفناها وتلقيناها على مقاعد الدراسات الجامعية على أساس أنها إطار يحدد معالم و حدود المعرفة والبحث العلمي،هذا يعني أننا سنستعمل موضوعات، و مناهج، وأدوات بحثية علمية غير التي يستعملها "الآخر"، من هنا انطلق المفكر محمد أركون في بناء إشكالية القراءة العلمية لفكرنا العرب والإسلامي وتفكيكه وإعادة تركيبه وذلك عن طريق إنشاء مناهج في التفكير والتحليل، لإعادة قراءة تراثنا المعرفي قراءة نقدية، وإعادة الفهم وفق معطيات تاريخية واجتماعية وثقافية وسياسية كذلك، وإمكانية تسويقه "للآخر"كمادة علمية غير التي عرفها عن طريق المستشرقين، و تحين التراث أو المنتج التراثي المعرفي الذي كتبه الفرد وراكمه على مدى سنوات، وتعامل معه على انه مقدس لا يمكن نقده أو حتى قراءة الظروف الموضوعية التي أدت إلى إنتاجه.

نص المداخلة:

من هو محمد أركون؟

محمد أركون مفكر عالمي واستعملت هذا المصطلح نظرا لكونه لم يقتصر فكره على وطن أو موقع جغرافي بحد ذاته، وإنما يتم تصنيفه حسب رأي بعالمي تبعا لفكره ولما كتبه عن دين عالمي أو إنساني أنتج مجتمعات يحملون خصوصيات متميزة .

أما من ناحية الانتماء الجغرافي، فهو جزائري ولد بقرية توريرة ميمون بالقبائل الكبرى أين درس المرحلة الابتدائية، ثم انتقل ليدرس المرحلة الثانوية بوهران ثم الدراسة الجامعية بالجزائر العاصمة، ثم انتقل إلى جامعة السربون بفرنسا، وهنا أتوقف للتحليل، فهذه التنقلات كما هو ملاحظ متعددة في مساره الدراسي والحياتي مما اثر على شخصيته، ففترة الطفولة بمنطقة القبائل، وفترة المراهقة بمنطقة وهران، والشباب بالجزائر، فيقول أركون عن ذلك "لقد مررت بجميع مراحل الدراسة بالجزائر في مناطق مختلفة ... وقد انغمست بإحساسي وفكري في المجتمع الجزائري أثناء المراحل الثلاث الأساسية التي مر بها وطني مرحلة الاستعمار، الحرب التحريرية، ثم الاستقلال "(مجلة مواقف العدد 40)، أما مرحلة النضج فكانت بفرنسا، و لهذه المحطات اثر كبير في بناء شخصية أركون واتقاد فكره المتميز الذي كان شاهدا على الظروف الاجتماعية الصعبة التي عاشها آنذاك وطنه، كما اثر ذلك على التناقض الذي عاشه من خلال المناهج

الاستعمارية، وواقع مجتمعه المسلم والمتسم بالتخلف رغم ربانية الإسلام، فحدثت له هذه الصدمة نتيجة الهوة بين التعاليم الإسلامية المحكمة، وواقع المجتمع الذي يدين بهذه التعاليم. فثار على الوضع وكانت ثورته من نوع خاص ثورة اتخذت منحى غير المنحى السياسي، حيث تبنى طرقا للتمرد وهو البحث عن أسباب عدم التجديد في مجتمعه، وعدم القدرة على النهوض رغم توافر كل الشروط لذلك في القواعد و في نصوص ما يدين به ويعتقده مجتمعه، حيث يقول:عشت احتدادات قوية – شأني شأن كل جيلي في الجزائر– بين تعليم يجيئنا من فرنسا وبين مشاكلنا، كجزائريين تتعلق بالعصرنة، والتي لم نكن نجد من يجيب عنها في الجامعة... فرسبت في نفسي قناعة ثقافية وتاريخية، بأن أجيب وبكيفية منهجية على أسئلة مطروحة من قبل المجتمعات ومنها مجتمعي، فعوض تقديم ايجابات إيديولوجية بالانتماء إلى حزب سياسي، اخترت الطريق العلمي، وهو اختيار عمدي يمكنني من المحاربة على جبهتين، جبهة داخل المجتمع العربي الإسلامي الذي يبحث عن حل ايديولوجي لمشاكلنا بدل البحث العلمي، وأحارب الاستشراق الذي لا يراعي خصوصية المجتمع المدروس ويطبق عليه منهجا صارما متطرفا، لا يؤمن إلا بما هو مادي.

ولد أركون سنة 1928، بالقبائل كما ذكرت آنفا انتقل إلى عين تموشنت حيث التحق بثانوية الآباء البيض بوهران، هؤلاء الآباء البيض شكلوا لمحمد أركون صدمة ثقافية، نظرا لسعة اطلاعهم ومنهجية مشروعهم، لم يجده اركون حتى عند انتقاله إلى الجامعة

واحدث له ذلك صدمة إضافية، لأنه حسب اعترافه، "يبدو أداء الجامعة وهي مؤسسة عليا باهتا أمام أداء الآباء البيض" ، "الجامعة تبدو صحراء فكرية أمام فكر الآباء البيض"

- درس اللغة العربية وآدابها سنة 1956.
- تحصل على دكتوراه من جامعة السربون سنه 1968.
- اشتغل أستاذا بجامعة السربون من 1961-الى-1991.قضى بها حوالي30 سنة باحثا وأستاذا ومؤلفا ومؤطرا لعديد من الطلبة داخل فرنسا وخارجها .

يعتبر اركون من جيل المفكرين المتمردين على كل ما هو تقليدي وجامد، سواء من ناحية الأفكار أو المناهج التي تعالج بها القضايا الفكرية أو الاجتماعية، أمثال بيار بورديو، وفرانسوا فوريه وغيرهم ، فتأثر بهم وبثورتهم الابستمولوجية ، وحاول تطبيق نفس الشيء مع الفكر الإسلامي.

- أستاذا زائرا في برلين -1977-1979.
- ضيفا باحثا في معهد الدراسات المتقدمة-1992-1993 .
- أستاذا زائرا في الجامعات التالية:لوس انجلوس، برستون، لوفان لانيف، روما،فيلادلفيا، امستردام،نيويورك، أدنبرة...
- مستشارا علميا للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونغرس في وشنطن منذ سنة2000.

لقد كان اركون واسع الاطلاع، جريئا في طرحه، أهتم أركون بالتاريخ الوقائعي والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. كما اهتم بمنهج الالسنيات، فقرأ القرآن،

والنصوص الإسلامية الكبرى، كما قرأ السيرة النبوية، رسالة الشافعي ونصوص ابن رشد، ابن خلدون،ابن مسكويه، وأبو حيان التوحيدي، هذان الآخران قدم فيهما رسالة دكتوراه بالسربون.

تأثر كثيرا بأبي حيان التوحيدي واعتبره أخوه الروحي، حيث يقول عنه انه يشترك معه في التمرد على كل ما هو جامد ولا يعتقد انه لا يمكن تغيره، كما يشترك معه في رفض أي إكراه على العقل والفكر، كما كان يشتركان في عدم الازدواجية بين الفكر والعمل به، فيترجم الفكر إلى سلوك عملي.

كما تبنى المنهج الابستمولوجي في تعامله مع المعرفة المتراكمة، وطبق ذلك على التراث المعرفي الإسلامي، ولم يتعامل معه على أساس أفكار قبلية تقدسه وتجعله ممنوعا من النبش فيه أو إعادة قراءته .

توفي يوم 14 سبتمبر 2010،ودفن بالمغرب بناءا على وصيته في أن يدفن هناك.

مؤلفات محمد أركون: لمحمد أركون كثيرا من المؤلفات بالفرنسية، وترجمت أعماله إلى عدة لغات منها الفرنسية والانجليزية والهولندية والاندونيسية...وطبعا العربية.

من مؤلفاته (الإسلام أوروبا،الغرب ـــــــــــــــ الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ـــــــــــــــ نزعة الانسنة في الفكر العربي ـــــــــــــــ تاريخية الفكر العربي الإسلامي ـــــــــــــــ نزعة الانسنة في الفكر العربي...وغيرها، والملاحظ أن الترجمة لكتب أركون، عرضتها إلى كثير من التحريف للأفكار التي كان

يطرحها، وكثيرا قول ما لم يقصده، وذلك عن سوء فهم، أو فهم انطلاقا من إيديولوجية معينة للمترجم.

مشروع أركون العلمي: لقد كانت فكرة اركون هو بناء علم الإسلام أو *islamologie حسب فهمي لأفكاره وتحليلاته، والاسلاملوجي هو دراسة الإسلام من كل جوانبه، دراسة علمية، وهي تختلف عن الدراسات الشرعية الأخرى، حيث يخضع منتج هذه الدراسات، من فقه وشرح وتفسير للقرآن، ونقل وشرح لحديث، ووقائع تاريخية، إلى الاسلامولوجي وإرجاع كل المنتج المعرفي المتراكم، إلى سياقه التاريخي والاجتماعي والسياسي والظروف الخارجية والداخلية، التي أنتجت فيها المعرفة المتعلقة بالوقائع التي حدثت في مجتمع يدين بالإسلام. كما لا ينسى التنبيه إلى دراسة الأبعاد النفسية والايديولوجية والثقافية والمجتمعية للمفكر المنتج لهذه المعرفة، حيث يتعامل محمد اركون مع المعرفة المتراكمة في تراثنا بخطوتين، لا يستعمل القطيعة مع ما تراكم من معرفة أو بما يعرف بالقطيعة الابستمولوجية، ولا يأخذها كما هي، بمعنى لا يتعامل مع المعرفة بموقف المستأنف ولا موقف المبتدأ، فهو لا ينفي الماضي ولا يبدأ مستقبلا معرفي منفصل عنه مثل ما حدث مع الثورات الأوروبية ، ولكن يقف موقف الناقد لما مضى، وتفكيكه إلى عناصره الموضوعية، من سياق تاريخي واجتماعي وسياسي، ويعيد تركيب معرفة وفق عناصر موضوعية تتلاءم والسياقات الموجودة فيها كذلك، لذلك يرى بأن«إعادة قراءة

النصوص الدينية الأساسية بدل الارتكاز عليها، لا يعني الاستخفاف بتجارب وعبقرية السلف وإهمال تعاليم النصوص الكبرى وجهود المفسرين... إعادة القراءة، هو الأخذ بعين الاعتبار مسألة التغيير الحاصل في مجال المعرفة البشرية والتاريخ البشري»(إدريس ولد القابلة،ص5).

سأحاول هنا أن أعطي بعض الإجازات على مشروعه العلمي وهي عبارة عن اضاءات بسيطة تلخص ما توصلت إليه من فهم لهذا المشروع وهي كالتالي:

- **انطلاقا** من السؤال الكبير الذي طرحه شكيب ارسلان،" لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ "وقد ينتج عنه في وقتنا الحاضر سؤال واقعي ، لماذا تقدم بعض المسلمين وتأخر بعضهم (واقصد هنا بالضبط الدول الإسلامية الآسيوية ...)،يقول ارسلان : «من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ولا يعرف أن يرد .»(شكيب ارسلان،ص75).يدعونا محمد أركون في مشروعه العلمي على البحث عن الأسباب، عوامل النجاح، وعوامل التأخر بمنهجية الناقد الذي تحرر من وطأة الإيديولوجية.
- **قضية تحويل النص القرآني** إلى تطبيق منتج على المستوى المعرفي، ومنعكسا في علاقاتنا كأفراد داخل المجتمع، فمن خلال المنظومة الفكرية في النص القرآني، تعتمد على عدد محدود من المسلمات، وتترك هامش كبير من الحرية للفرد في أن ينظر ويتدبر ويفكر، ومن هنا يتنوع الهامش وتتنوع مساحته، فإشكالية الفهم المتغير تتحكم فيه خصائص الفرد، واستعداداته وقدرته على البحث، والاستنباط

والاجتهاد، وهذه كلها متغيرات غير ثابتة، يتحكم فيها السياق التاريخي والاجتماعي، والثقافي بالإضافة إلى البعد السياسي.

الفهم: متغيرا تابعا للمنتج المعرفي بالنص القرآني: متغير مستقل، تتحكم فيه مؤشرات التاريخ المجتمعي، الثقافة، السلطة.

ونستطيع أن نضيف إلى المتغير المستقل البعد النفسي والسلوكي، وهو خاص بالفرد المنتج للمعرفة، والمتغير هنا سيكون وسيطا وسيكون في المحك، ويؤثر في المؤشرات الأخرى وبالتالي يصبغ المتغير التابع بصبغة متغيرة غير متوقعة.

- **نقد العقل الإسلامي**، ويرى أن الاجتهاد هو مرحلة انتقالية توصل بالضرورة إلى نقد العقل الإسلامي(عندنا يعرف بفقه النوازل)، وهو بذلك يتجاوز المنهجية الاستشراقية،** هذا التجاوز يستعمل علوم الإنسان،المتضمنة لوقائع سوسيولوجية للمجتمعات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، هذه الوقائع ساهمت فيها الثقافة السائدة آنذاك بروافدها المختلفة، من تنوع في الأعراق، والخصوصية الثقافية لكل عرق، ومن أجناس ثقافية، من أساطير ومذاهب، وفرق وشخصيات، ووقائع سياسية تناقلت شفويا وساهم فيها المخيال الفردي إما بالتضخيم أو التحجيم (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، سلسلة بحوث اجتماعية).
- **إعادة قراءة المنتج الفكري** للمذاهب الإسلامية على تنوعها واتجاهاتها، حيث يرى أركون أنها نشأت في ظروف سياسية، والسياسة تلعب دورها في توجيه البحث في الأمور الدينية، لأن الدين هو الذي سيمنح المشروعية للدولة كسلطة، وإعادة القراءة عند اركون ترتكز على ثلاثة أبعاد: كيف تم الفهم؟ كيف تم التطبيق؟ وكيف تمت الممارسة؟***
- **تبني المفهوم القرآني** ﴿أفلا يتدبرون﴾﴿ أفلا تعقلون﴾ المصطلحات المتكررة في القرآن في كذا موقع وهي تستفز وتستنفر وتشحذ العقل إلى منهج آخر غير الاستقبال وإنما مباشرة البحث عن حقيقة الوقائع.

مفاهيم اركونية:

- **مفهوم الاجتهاد:** هو فعل من أفعال الفكر النظري الموجه نحو المعرفة،انه البحث عن الأسس الإلهية والمعرفية من أجل تبرير الأحكام الشرعية.(من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،ص106).
- **العلمانية:** العلمانية عند اركون علمانية ايجابية منفتحة تحتفظ بالبعد الديني والروحي للمجتمعات، ويرى أن النجاح الانتربولوجي كعلم يقوم على عدم تصفية البعد الروحي والديني للمجتمعات بادعاء أن العلم أو علمنة المعرفة قائم على ألا دين.ومنه يقف موقف وسط، فيرفض تطرف المستشرقين العلمانيين، والمسلمين التقليديين في آن واحد.
- **نقد العقل الإسلامي:** يعني به نقد التجسيد التاريخي والتطبيقي، فهناك الوحي وهناك التاريخ، بمعنى الوقائع ضمن زمن معين وظروف اجتماعية وسياسية معينة، هناك المثال الأعلى وهناك التطبيق، «التطبيق يتم في زحمة الصراعات العقائدية والسياسية وتضارب المصالح والتنافس على المال والأرزاق» من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،ص106.
- **الدغماتية:** يتكون الكون في العقلية الدغماتية، من فريقين الأول يتخندق فيه والثاني ضده، تعتمد العقلية الدغماتية على ثنائية حادة، الإيمان أو العقائد/ألا إيمان واللا عقائد، بمعنى أؤمن أو لا أؤمن، حدة الفصل في العقلية الدغماتية ، من ليس معي فهو ضدي، نعبر عنها في الموروث الشعبي" **بمعزة ولو طارت.**"
- **الجهل المقدس:** وهو مصطلح ينسب إلى اركون بينما يعترف بنفسه انه لأحد أصدقائه من الكتاب الفرنسيين واشتق منه اركون الجهل المؤسس، يتساءل اركون كيف يمكننا أن نقدس الجهل؟، فيجيب بان الفاعلين الاجتماعيين هم الذين يقومون بتقديس الجهل، عن طريق الخطاب المأسلم ويكرر **الخطاب** وليس الإسلام، فالخطاب الدوغماتي يكرر عقائد دوغماتية، دون أن يخضعها إلى تحليل تاريخي، فما وصلنا عن المعتقد هو إنتاج الفاعلين الاجتماعيين وهم مختلفون في التفسير، كما أنهم هم أنفسهم الذين يحددون الوسائل التي تمكنهم من قراءة النص القرآني، وتنتشر هذه التفسيرات وتصبح عقائد تفرض على

الجميع، وأي تفسير خارج هذه التفاسير الدغماتية يعرض صاحبها إلى التكفير والتعنيف وفي أغلب الأحوال إلى التصفية. ومنه يعجز الفاعلون عن تفسير واقعهم وإيجاد حلول موضوعية لظواهر لم تحدث في زمن المفسرون.

- **الجهل المؤسس:** ما يحدث في منظومتنا التربوية مفهوم آخر للجهل المؤسس يعني النظام التربوي، والذين يكلفون بتسيير هذا النظام، والذين يقومون باقتراح البرامج التي يعتمد عليها الأستاذ ، يؤسسون للجهل لان البرامج حسب اركون لا تفتح حقول المعرفة وبذلك يصبح الجهل له مؤسسات رسمية محفوظة بقوانين تحميها، والأدهى من ذلك يتوارث، ويستمر دون التعرض له بالمراجعة وإعادة القراءة والنقد.

خاتمة: بعرضي لبعض أفكار محمد أركون، حاولت أن، أقدم نموذج لبعض مفكرينا الذين كانت لهم دعوة صريحة وواضحة لإعادة قراءة متأنية لتراثنا الإسلامي ومراجعته، و وعرضه على محك النقد الموضوعي، لاستخلاص ما يمكن أن يكون ايجابات لعوامل تعثرنا، وعجزنا في إيجاد حلول لظواهرنا الاجتماعية، التي تصبغ دائما بانتمائنا الثقافي والتاريخي، ورأى بأن بداية الطريق تكون بالتراث المتراكم للمعرفة الإسلامية، وتبني التحليل الذي يعتمد على المنهج الدينامكي، في تحليل السلوك الديني في المجتمع العربي المعاصر، وهذا التحليل مرن يراعي كل الظروف المحيطة الثابتة و المتحرك منها ، ويذكر انتوني جيدنز أن هذا التحليل عكس ما يستدعيه المنهج السكوني، إذ يجب ألا نكتفي بتحليل النصوص المجردة خارج سياقها الاجتماعي التاريخي.(جيدنز،ص 591.)

بالنسبة لاركون البداية لتأسيس علوم سوسيولوجية، تحلل وتجيب على الأسئلة المحرجة التي تحاول أن تجد ايجابات لظواهرنا، هو الانطلاق إلى نقد العقل، والنص الديني، وقد نتساءل لماذا العقل الديني؟ ولماذا النص الديني؟

- العقل هو المفكر والمفسر، وهو حالة فردية يؤثر فيها المجتمع والسياق التاريخي والظرف السياسي.

- لماذا النص الديني؟ لأننا محكومين به وهو احد مكونات الهوية المجتمعية وبالتالي أي حديث عن سوسيولوجيا لا يمكن فيه إبعاد احد أهم أبعادها وهو الدين.

الهوامش/ المراجع

* – الاسلامولوجي،islamologie: هو مصطلح حاولت أن أدرجه حسب فهمي للدلالة على علم الإسلام، والمقصود به هنا الدراسة العلمية للتراث الإسلامي والنصوص المعرفية المنتجة وعرضها وإرجاعها لسياقها التاريخي والثقافي والسياسي والبعد النفسي لمن أنتجها.

** – المنهجية الاستشراقية: لا تهتم هذه المنهجية إلا بالوقائع المادية الثابتة، بمعنى تنغلق في وضعية متطرفة، لا تعنى بالمنتج التصوري الذهني، فتعتمد المادة و تهمل الروح.

*** – التطبيق والممارسة: الفرق بينهما هو أن التطبيق قد يتم مرة واحدة وقد يتم حرفيا، بينما الممارسة متواصلة ومستمرة ومتغيرة ،معرضة لعدم الثبات نظرا لتغير الظرف الخارجي والبعد النفسي للممارس حسب رأي.

– ﴿أفلا يتدبرون﴾﴿ أفلا تعقلون﴾، مصطلحات من القرآن الكريم، تتردد كثيرا.

–أنتوني جيدنز، علم الاجتماع ، ط4، ترجمة فايز الصباغ،المنظمة العربية للترجمة مؤسسة ترجمان،بيروت لبنان،2005.

– اركون محمد، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ط1، ترجمة هشام صالح، منشورات دار الساقي، لبنان، 1991.

– اركون محمد، نزعة الانسنة في الفكر العربي(جيل مسكويه والتوحيدي) ط1، ترجمة هشام صالح، منشورات دار الساقي، لبنان، 1997.

– ارسلان شكيب،لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ط2، دار مكتبة الحياة، لبنان،ب س.

– مجلة مواقف، حوار مع محمد اركون: التراث والموقف النقدي التساؤلي، عدد40، سنة1981.

- الحوار المتمدن، جولة في فكر محمد اركون، ولد القابلة ادريسس، عدد 557، 2003.